

قائمة المصادر والمراجع

- 1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6. دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، 1998.
- 2 - Emerit Marcel. Les saint-simoniens en Algérie. Edition les belles lettres. Paris.1941.
- 3 - مصطفى عبيد، الفكر الاستعماري السانسييموني في مصر والجزائر 1833 - 1870، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2013.
- 4 - Michel Levallois .Ismayl Urbain (1812 -1884) Une autre conquête de L'Algérie. Maisonneuve et Larose .Paris. 2001.
- * للمزيد من التوسع حول الجريدتين وخاصة جريدة " المنتج " يرجى العودة إلى كتاب:
Membres du Conseil Enfantin, Œuvres de Saint-simon et d'Enfantin, 1Vol, E .Dertu, Paris, 1865, P 182 - 184.
- 5 - محمود صالح منسي، مشروع قناة السويس بين أتباع سان سيمون وفرديناند دي لسييس، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر. بدون سنة نشر.
- 7 - إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، ط 1، 1997.
- 8 - جراتيان لوبيير، "دراسة موجزة عن الجزء الغربي من ولاية البحيرة والذي كان يعرف قديما باسم إقليم المريوطية". (جولة في إقليم المريوطية)، بموسوعة وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، مج 2. دار الشايب للنشر، مصر، بدون سنة نشر.
- 10 - Ismayl Urbain, Voyage d'Orient. Suivi de Poème de Ménilmontant et d'Egypte. Préface Régnier Philippe, L'Hamattan. 1993.
- 12 - كان السيد فورنال من كبار السانسييمونيين، وكان مكلفا بالتمهيد للمشاريع السانسييمونية والتفاوض من أجل قبول محمد علي بتطبيق برنامجهم وإنجاحه.
- 20 - محمد بيومي أفندي هو السانسييموني الفرنسي ماشيرو بعد إسلامه. وهو مهندس خريج المدرسة المتعددة التقنيات بفرنسا.
- 22 - أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت.
- 24 - سليمان باشا هو العقيد الفرنسي السيد ساف " Sève " تجنس بالجنسية التركية وتقلد منصب نائب الباشا بمصر ثم أصبح هو نفسه الباشا إلى غاية 1850 على رواية توماس أوربان. لأن كتب التاريخ المتداولة لم تذكر أبدا -على حد علمي- أن سليمان باشا قد تولى منصب الباشا في مصر. ينظر، أوربان، رحلة الشرق.
- 25 - F.Ribourt , Le Gouvernement de l'Algérie 1852 - 1858, Paris, 1859.

بجاية في عهد بني غانية

أ. طويلب عبد الله

ملخص

بجاية مدينة تاريخية عريقة ، يرجع تاريخ تأسيسها إلى العهد الزييري (أول دولة بربرية مستقلة عن الخلافة في المشرق) ، لكن هذا لا يعني عدم وجودها قبل هذا التاريخ ، بل كانت لها مكانة كبيرة في العهد الروماني ، تداول على حكم هذه المدينة العديد من الدول والأسرات ، و من بين هذه الفترات الفترة التي ظهر فيها بنو غانية القادمين من الجزائر الشرقية (جزر البليار) من مدينتي ميورقة ومنورقة ، حيث كانوا حكاما عليها ، وبذلك أصبحت بجاية تابعة لبني غانية الذين كان لهم صراع طويل مع الدولة الموحدية، انتهى بسيطرة بني غانية على بجاية .

بعد استيلاء بني غانية على مدينة بجاية التي جعلوها عاصمة لملكهم ومنطلقا لتوسعاتهم في بلاد المغرب، فقد وصلت حدود مملكتهم إلى أجزاء واسعة من شرق المغرب الأوسط إضافة إلى بلاد إفريقية. لذلك سأحاول من خلال هذا المقال التطرق إلى هذه الفترة الغامضة و المحرجة من تاريخ مدينة بجاية، في ظل قلة الدراسات والبحوث التي تناولت هذه الفترة التاريخية (التاريخ المحلي) من تاريخ الجزائر في العصر الوسيط .

الكلمات المفتاحية :

بجاية ، بني غانية ، الدولة الموحدية ، المغرب الأوسط .

Résumé

Bejaia est un ville antique fondée a l'époque Ziride, mais avant cette époque déjà, avait une existence prospère pendant l'ère romaine.

Beaucoup de dynasties ont règne sur Béjaia parmisses dynasties - Les Banou Ghania - originaire des iles baléares.

Mots clés:

Beni ghania, Béjaïa, eta, moyen age.

1- أصل بني غانية و صلتهم بالمرابطين :

ينتمي بنو غانية حكام الجزائر الشرقية (1) (الحميري، بيروت، 1975، ص 567-568)، إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية (2) (عبد الرحمن الجليلي، الجزائر، 1997، ص 13) بصحراء لمتونة (3) (هشام أبو ريميلة، نابلس، ص 143) إحدى أعظم قبيلتين قامت عليهما الدولة المرابطية ، كان علي الموسوي جدّ بني غانية يتمتّع بشخصية قويّة، ويتحلّى بمواهب عدّة، وله مكانة عالية في قومه، ممّا جعله مقرباً من أمير المرابطين يوسف بن تاشفين ، وحيث اختلف يوماً مع أحد رجال قبيلة لمتونة ، فقتله وهرب إلى الصّحراء ، فتدخل يوسف بن تاشفين في النزاع، ووضع من ماله الخاص دية القتل وأرضى أهله ثمّ استدعى إليه عليّ الموسوي من مقره بالصّحراء وزوجه امرأة من أهل بيته ، تسمى غانية بعهد أبيها (4) (عبد الرحمن ابن خلدون، بيروت، 1284، ص 190) أو امرأة من حظايا القصر (5) (عبد الواحد المراكشي، القاهرة، 1997، ص 20) من غانة و لهذا فالصّواب تشديد الياء وفتحها في قراءة الاسم (6) (حسين مؤنس، بيروت، 1992، ص 20) فنسب أبنائها وأحفادها من بعدها باسم بني غانية نسبة إلى أمهم ، إن أمثال هذه التّسميات من حيث نسبة الرّجل إلى أمه كانت معروفة عند المرابطين، فكثير من قوّادهم ينسبون إلى أمهاتهم ، مثل ابن عائشة وابن فاطمة وابن الصّحراويّة وغيرهم (7) (أبو مطرف بن عميرة المخزومي، بيروت، 2007، ص 66) فأنجبت غانية ولدين هما يحيى ومحمد، تربّيا في رعاية يوسف بن تاشفين ، فلمّا خلف علي بن يوسف بن تاشفين (8) (عبد الرحمن ابن خلدون، بيروت، 1284، ص 190) أباه في الحكم رعى لهما هذه الحقوق ، وقربهما إليه واستعملهما على الولايات (9) (عبد الرحمن ابن خلدون، بيروت، 1284، ص 190). لخصّ المراكشي التعريف بابن غانية فقال: "وتلخيص خبر هؤلاء القوم _أعني بني غانية_ أنّ أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وجّه إلى الأندلس برجلين اسم احدهما يحيى والآخر محمد ابني علي من قبيلة مسوفة ، يعرفان بابن غانية وهي أمّهما، فأما يحيى منهما وهو الأكبر فكان حسنة من حسنات الدّهر، اجتمع له من المناقب ما افترق في كثير من النّاس، فمنها أنّه كان رجلاً صالحاً ، شديد الخوف من الله ، والتّعظيم له والاحترام للصّالحين، هذا مع علو قدمه في الفقه وكان مع فارساً شجاعاً إذا ركب عدّ وحده بخمسمائة فارس، وكان علي بن يوسف يعدّه للعظام ويستدفع به المهمّات، وأصلح الله على يديه كثيراً من جزر الأندلس، ودفع به عن المسلمين غير مرة مكاره قد كانت نزلت بهم، فقد ولاه مدينة بلنسية ثمّ عزله عنها ولاه قرطبة، فلم يزل بها والياً إلى أن مات رحمه الله....." (10) (عبد الرحمن ابن خلدون، بيروت، 1284، ص 190-191)، أمّا محمّد بن غانية فيقول عنه المراكشي ، أنّه كان والياً من قبل أخيه علي بعض أعمال قرطبة ، فلمّا مات اضطرب أمر محمد هذا، وبقي يجول بلاد الأندلس والفتنة تزيد ودعوة المصامدة تنتشر، فلمّا اشتد خوف محمد أتى مدينة دانية فعبّر منها إلى جزيرة ميورقة، فملكها والجزيرتان اللّتين حولها- منورقة، يابسة - ويقال أنّ أمير المسلمين علي بن يوسف نفاه إليها عن طريق السّجن بها (11) (عبد الواحد المراكشي، القاهرة، 1997، ص 267)، هناك رواية أخرى حول محمد بن غانية حاكم الجزائر الشّرقية، ففي سنة 509هـ/1116م عيّن أمير المسلمين عليّ بن يوسف بن تاشفين لولاية الجزائر الشّرقية، أنور بن أبي بكر اللّمتوني فبقي هذا الأخير في منصبه عشر سنوات ، ثمّ استبدّ وبغى فقام أهل الجزائر الشّرقية (12) (عبد الرحمن ابن خلدون، بيروت، 1284، ص 190) وقبضوا عليه ثمّ بعثوا إلى أمير المسلمين علي بن يوسف يشرحون له سبب ثورتهم، ويسألونه أن يعين عليهم والياً آخر، فحقق أمير المسلمين رغبتهم ، وبعث إليهم سنة 520هـ/1126م محمد بن غانية الموسوي، فاستمر محمد في منصبه زهاء ثلاثين عاماً (13) (عبد الرحمن ابن خلدون، بيروت، 1284، ص 190-191).

وهناك رواية تقول أن علي بن يوسف بعث واليا عليها هو أنور بن أبي بكر من رجالات لمتونة وبعث معه خمسمائة فارس من معسكره، فأرهب لهم ، وأراد بناء مدينة أخرى بعيدة عن البحر، فامتنعوا وثاروا به وحبسوه ومضوا إلى علي بن يوسف، فأعفاهم منه وولى عليهم محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانية ، وكان أخوه يحيى على غرب الأندلس، فاستعمل أخاه على قرطبة، وكتب إليه علي بن يوسف يأمره بصرف محمد أخيه إلى ولاية ميورقة، فارتحل إليها من قرطبة ومعه أولاده، ولما وصل إلى ميورقة قبض على أنور وبعثه مصفدا إلى مراكش (14) (محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1964، ص 144-145)، وحكم قبضته على الجزائر الشرقية ليجعلها نواة لأمارته (15) (عبد الواحد المراكشي، القاهرة، 1997، ص 270)، كان لمحمد بن غانية أربعة أولاد : عبد الله ، إسحاق ، الزبير ، طلحة، و بنات فاختار لولاية عهده أكبر أولاده ، وهنا تختلف الرواية فيقال إن إسحاق حقد على أخيه و دبّر مؤامرة، قتل فيها أباه وأخاه .

2- الجزائر الشرقية في ظل حكم بني غانية:

كانت الجزائر الشرقية إحدى ولايات المرابطين في الأندلس (16) (هشام بورميلا، نابلس، ص 148)، وهي عبارة عن ثلاث جزر ميورقة و منورقة و يابسة، فقد استطاع محمد بن علي بن غانية ان يدير دفة الحكم في تلك الجزر بحنكة سياسية بارعة و حزم و قوة عظيمتين، ثم اخذ يرقب بحذر شديد انتصارات الموحدين على المرابطين في المغرب ، فلما دخل الموحدون مراكش عاصمة المرابطين شدد محمد بن غانية قبضته على الجزائر الشرقية، ليجعلها نواة لإمارة تحمل اسم قبيلته، و كانت الجزائر الشرقية تعيش في اطمئنان خلال قتال ابن مردنيش للموحدين فقد كان هؤلاء لا يخفون بأمر الجزائر الشرقية، ثم أدركوا أهمية موقعها البحري فتوالت كتبهم إلى إسحاق بن غانية يطلبون الدخول في طاعتهم (17) (الغبريني، ص 24-15)، ومنها سينطلق بنو غانية لمواجهة الموحدين و الدخول إلى بلاد المغرب و السيطرة عليها.

3- تمرد بنو غانية :

وجه أبو يعقوب القائد أبا الحسن علي بن الربرير (18) (أحمد مختار العبادي، بيروت، 2000، ص 355) إلى جزيرة ميورقة بعد هلاك إسحاق بن غانية ليعرض الطاعة على من بما من بني إسحاق وليقدم خدمته عليه على مجرى العادة في من خالف الجماعة من الثوار (19) (هشام أبو رميلة، نابلس، ص 150) ، وكما سبق الذكر فقد ولي محمد بعد أبيه إسحاق، وبعث الموحدون بطاعته فأرسلوا علي بن الربرير لاختبار ذلك منه، فأحس بذلك إخوته فأنكروا ذلك وقبضوا عليه، ولما بلغهم مهلك الخليفة و ولاية ابنه المنصور (20) (عبد الرحمن ابن خلدون، بيروت، 1284، ص 242-243) اعتقلوا علي بن الربرير (21) (الحميري، بيروت، 1975، ص 189-190).

وهناك رواية أخرى تجعل مسير جيش الموحدين في عهد الخليفة المنصور، وليس في عهد أبيه، وكان السبب في التوجه إلى ميورقة، هو أن صاحب ميورقة عليا بن إسحاق بن محمد وجه بطلبه يستدعي بيعته، فأنف من ذلك و أساء الرد واحتال على الرسل وأودعهم في السجون (22) (ابن أبي دينار، تونس، ص 118).

فشل الموحدون في غزو مدينة شنترين (23) (أحمد مختار العبادي، بيروت، 2000، ص 355)، واستشهد الخليفة أبو يعقوب يوسف في ربيع الثاني سنة 580هـ / جويلية 1184م ، من أثر جراح أصابته في الغزو ، وتصادف في ذلك الوقت ، أن بعض وحدات

الأسطول الموحدى ، كانت في زيارة رسميّة لجزيرة ميورقة ، بقيادة أبي الحسن بن البرتير فتظاهر الميورقيون باستقباله ، والحفاوة به ، ثم بعثوا إلى مراكبهم استولوا عليها ، فلم يجد القائد أبو الحسن إلا الاستسلام ، واعتقلوه في دار الضيافة ، حيث أنزلوه بها (24) (هشام أبو ريملة، نابلس، ص 150-151).

لقد شجعت هذه الظروف التي مرت بها الدولة على فشل قواتهم أمام مدينة شنترين ومقتل خليفتهم، ومبايعة الأمير الجديد يعقوب بن يوسف ، وانشقاق بنو عبد المؤمن على أنفسهم ، وامتنع البعض عن مبايعة الخليفة الجديد ، علي بن إسحاق على التمرد ضد دولة الموحدين ، بل وأكثر من ذلك شحن قواته في أسطول و نزل على بجاية قاعدة الحكم في المغرب الأوسط واستولى عليها (25) (ابراهيم الأبياري، القاهرة، 1991، ص 267).

لم يكتف بنو غانية برفض طاعة الموحدين واعتقال سفيرهم، بل اتجهوا بأبصارهم إلى بلاد المغرب ، وهي المنطقة المشحونة بالاضطرابات والقتال والمتاعب ، فقد كان بنو غانية في مشروعهم لغزو المغرب يعتمدون على مؤازرة خصوم الموحدين أمثال القبائل العربية من بني هلال (26) (محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1964، ص 148-149) ورياح، فقد قضى الموحدون على ثورتهم سنة 576 هـ / 1181 م كما أنهم سيعتمدون بلا شك علي بني حماد أصحاب بجاية الذين قضى الموحدون على ملكهم، بالإضافة إلى الاعتماد علي بني مطروح في طرابلس، وعلي قراقوش مملوك صلاح الدين الأيوبي الذي لعب هو الآخر دور الخليف لبني غانية (27) (محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1964، ص 148).

4- احتلال بنو غانية لبجاية :

لم يكتف بنو غانية برفض طاعة الموحدين واعتقال سفيرهم بل فكروا كذلك في انتهاز فرصة ما أصاب الموحدين من آثار هزيمة شنترين و تفرق جيوشهم الغازية وجنوح الخليفة الجديد أبا يوسف يعقوب إلى القيام بإصلاحات فاتجهوا بأبصارهم إلى افريقية وقد كانت منطقة مضطربة، وأزمعوا غزو مدينة بجاية، أقرب ثغور هذه المنطقة إلى ميورقة (28) (عبد الواحد المراكشي، القاهرة، 1997، ص 20)، فلما توفي أبو إبراهيم إسحاق قام بالأمر من بعده ابنه علي بعهد أبيه إليه، و خرج بأسطول ميورقة إلى العدو و قصد مدينة بجاية حيث راسله جماعة من أعيانها يدعونه إلى أن يملكوه و ممّا جرّاه أيضا سماعه خبر موت أبي يعقوب وانشغالهم ببيعة أبي يوسف و ظلّ أن الأمر سيضطرب وأن الخلاف سينشأ فكان هذا أيضا ممّا أعانه على الخروج .

قصد ساحل بجاية فنزل به فقاومه أهلها مقاومة ضعيفة حيث تغلب عليهم (29) (محمد بن عمرو الطمار، الجزائر، 1985، ص 63-64)، و لم يكن تفكير بنو غانية في غزو بجاية دون تمهيد سابق، فقد اتصل علي بن غانية ببعض العناصر التاقمة على الموحدين في المدينة من أولياء بني حماد، أمرائها السابقين، وراسله جماعة من أهلها، حيث كان بنو غانية على علم تام بأحوال مدينة بجاية فكانت السفن التجارية تسير بانتظام بين ميورقة و بجاية لتتنقل مختلف السلع (30) (الغبريني، ص 24-15)، فقد كانت أجفان إسحاق بن غانية تصل أيضا من ميورقة كما تصل به أجفان بجاية ، لما عزم بنو غانية غزو بلاد المغرب ساروا بالأسطول ، و نزلوا شواطئ بجاية بمحل بيع السبي منها وكانت البلدة خالية من الجيش ، فتلقاهم الناس على عادة تلقيهم لأجل السبي ، فنزلت الخيل معدة (31) (الغبريني، ص 24).

فطلعوا على جبل الخليفة ، و دخلوا من باب اللوز إلى قصبة البلد ، و لم يكن فوق باب اللوز سور في ذلك الزمان ، و طالبوا الناس بالبيعة فبايعوهم (32) (عبد الرحمن الجيلالي، الجزائر، 1997، ص 14)، فقد دخلها بنو غانية و الناس قائمون في صلاة الجمعة (33) (عبد الرحمن ابن خلدون، بيروت، 1284، ص 507).

تذكر بعض الروايات أن عليا ابن إسحاق حشد أسطولا يتألف من 32 سفينة تحمل نحو مائتي فارس وأربعة آلاف راجل تحت إمرة القائد رشيد النصراني، استخلف علي ابن إسحاق على ميورقة أبا الزبير (34) (محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1964، ص 149)، وسار مع إخوته صوب بجاية فوصلت بسلام إلى الميناء، بينما كان والي المدينة السيد أبو الربيع سليمان على مقربة منها راحلا عنها في طريقه إلى مراكش، لذلك لم يكن ببجاية آنذاك قوات كبيرة للدفاع فنزل بن غانية بقواته إلى الشاطئ ، وساروا نحو المدينة فاحتشد أهل البلد للمقاومة دون قائد و دون استعداد ، فسَلَطَ بن غانية عليهم القسي والسهم فتفك بهم (35) (هويشي ميراندا، الدار البيضاء، 2004، ص 312) ثم اقتحم المدينة واستولى عليها في 6 شعبان 580 هـ / 13 نوفمبر 1184م و هناك رواية تقول في 19 صفر سنة 581 هـ / ماي 1185م (36) (ابن الأثير، ص 206) وتقول إن أبا موسى بن عبد المؤمن كان والي ولاية إفريقية في ذاك الحين قادما إلى مراكش ونازلا ببجاية للراحة فوقع أسيرا (37) (ابن الأثير، ص 206)، ويقول ابن خلدون أن سقوط بجاية كان في صفر سنة 581هـ/1185م، ويذكر أن عليا بن غانية استخلف على ميورقة أخاه طلحة.

5- محاولة الموحدين استرجاع بجاية :

بلغ ذلك والي بجاية السيد أبي الربيع سليمان وهو في طريقه إلى مراكش فتوقف ورأى أن يعود لاسترداد ولايته، فقد كان لديه ثلاثمائة فارس من الموحدين ثم استنفر ألف فارس من عرب تلك النواحي (38) (مؤلف مجهول، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، العراق، 1968، ص 171) ، فبعد احتلال علي بن غانية للمدينة استخلف عليها أخاه يحيى ومولاه الرشيد وهب مقتنيا أثر عاملها الموحدي، وقد التقى به في منطقة يلميلول فنشبت بينهما موقعة انتهت بهزيمة أبي الربيع ومقتل معظم رجاله فقد انحاز العرب إلى علي بن غانية، ثم لاذ بالفرار وسار مع بقية رجاله إلى مدينة الجزائر غير أنه لم يشعر بالأمان فيها بسبب تواضع قدراتها الدفاعية، وخشي أن يلحق به بن غانية، فسار إلى مدينة تلمسان، واجتمع مع واليها أبي الحسن بن أبي حفص (أخيه) فأخذ في تحصينها وترميمها (39) (ابن عذارى المراكشي، ص 148).

6- توسعات بنو غانية انطلاقا من بجاية :

استولى علي بن غانية أثر ذلك على مدينة مليانة (40) (عبد المنعم الحميري، بيروت، 1975، ص 163) فعين عليها بدر بن عائشة ، ثم عاد إلى مدينة بجاية، فقد رأى أن ما حصل له فوق قدره ومطلبه (41) (الإدرسي، القاهرة، ص 180)، أتى الجزائر (42) (عبد المنعم الحميري، بيروت، 1975، ص 60) فدخلها ثم دخل مازونة (43) (هويشي ميراندا، الدار البيضاء، 2004، ص 314)، ثم دخل بعدها أشير عنوة (44) (عبد الواحد المراكشي، القاهرة، 1977، ص 198)، ثم أتى القلعة فدخلها و بث في هذه البلاد عمالا و حكاما، ثم قصد قسنطينة فسار إليها وحاصرها أشهرها ولم يفلح ، ثم قطع علي بن غانية الخطبة للموحدين من البلاد التي استولى عليها، فأمر بالدعاء للعباسيين ، كما فرض ضرائب مجحفة على السكان (45) (الغبريني، بيروت، 1979، ص 24) باسم

خليفتهم يومئذ الإمام أبي العباس أحمد الناصر وصلى على بن غانية الجمعة في بجاية فكان خطيبه الفقيه الإمام المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الاشبيلي، فحَقَّد ذلك عليه أبو يوسف يعقوب وأراد سفك دمه، فعصمه الله وتوفاه فوق فراشه (46) (هويثي ميراندا، الدار البيضاء، 2004، ص 314) كان من جملة الكلام الذي أضر بالموحدين في خطبته "والحمد لله الذي أعاد الأمر إلى نصابه وأزاله من أيدي غصابه" (47) (محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1964، ص 151).

7- حملة المنصور لاسترداد بجاية :

في ظل هذه التطورات أصبح لزاما على يعقوب المنصور الذي لم تكن قد مرت أكثر من خمسة أشهر على اعتلائه العرش ، أن يثبت بالدليل المحسوس كفاءته و حزمه (48) (الغبريني، ص 314) لذلك جهَّز جيشا بلغ عدده عشرين ألف مقاتل وزوده بوافر العدة و الآلات ، ثم اسند قيادته إلى ابن عمه أبي زيد بن أبي حفص (49) وأبي زيد بن عمر عبد المؤمن (50) (هويثي ميراندا، الدار البيضاء، 2004، ص 314)، و بعث في نفس الوقت أسطولا موحديا كبيرا من سبتة بقيادة أبي محمد بن إسحاق بن جامع وأبي محمد بن عطوش الكومي و أبي العباس الصقلي، فسار الجيش والأسطول وفق خطة حربية واحدة، متعاونين في البر و البحر (51) (أحمد مختار العبادي، بيروت، 2000، ص 355) .

وقد أمر الخليفة قيادة الجيش بمنح الأمان للمدن التي سقطت بيد بن غانية ومعاملتها برأفة، إذا ما عبرت عن استعدادها للخضوع من جديد لسلطة الموحدين (52) (هشام بورميلا، نابلس، ص 157). مهَّد الخليفة المنصور الطريق أمام الجيش و الأسطول ، فبعث عيونهم و جواسيسه بالكتب لأهل البلاد المغلوب عليها بالأمن و الأمان والصفح (53) (هشام بورميلا، نابلس، ص 159)، فبادر الأسطول الموحدي فاستولى على الجزائر قبل ان يصل اليها الجيش ، و اسر بما يحيى بن طلحة وأتباعه ثم سار الأسطول و استولى على مليانة ، ففرَّ حاكمها المرابطي بدر بن عائشة ، فلحقه أهل مليانة و احضروه مصفِّدا بعد معركة هزم فيها، ثم اعدم بعد ذلك.

ثم تقدّم أبو العباس الصقلي بسفينة من ميناء بجاية ، فأرسل عن طريق أعوانه الكتب إلى أهل بجاية يسألهم القيام على بني غانية و يخبرهم بوصول الجيش و الأسطول فاستجاب أهل بجاية فثاروا و فتحوا أبواب المدينة (54) (محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1964، ص 358-359). فاقتحمها رجال الأسطول ، يتقدمهم أبو محمد بن جامع و فتكوا بقوات بن غانية وأنصاره ثم اسروا رشيد الرومي و استولوا على سفن بن غانية و أطلقوا سراح الأسرى الموحدين ، هكذا استردّ الموحدون بجاية في صفر 581 هـ/ ماي 1185 م (55) (ابن الأثير، ص 705).

تمكن يحيى بن غانية والي بجاية من الهرب مع بعض رجاله و سار إلى أخيه علي و هو لا يزال في حصار قسنطينة فاخبره بوصول الجيش و الأسطول الموحدي ، و بسقوط الجزائر و مليانة و بجاية (56) (عبد الرحمن ابن خلدون، بيروت، 1284، ص 191-243)، فاحرق علي بن غانية المنجنيقات و آلات الحصار تحت أسوار قسنطينة و سار بقواته جنوبا صوب الصحراء ، فسار الموحدون وراءه ثم عادوا إلى بجاية لعجزهم عن اللحاق به ، بسبب أحمالهم الثقيلة (57) (هشام بورميلا، نابلس، ص 159).

8- تحالف علي بن غانية مع قراقوش ضد الموحدين :

استمر علي بن غانية في توغله بالصحراء فاتجه الى الواحات ببلاد الجريد ، و كان خلال الطريق يستميل إليه طوائف العرب بالعطايا و الصلات الجزيلة فالتفت حوله عرب بني رياح و بني جشم ، واستولى بمساعدتهم على قفصة (58) (عبد الرحمن ابن خلدون، بيروت، 1284، ص 243) بلغ علي بن غانية نزول شرف الدين قراقوش بقواته في بلدة الحامة من جهة طرابلس ، فقام علي و إخوته بمراسلته ، فسار إليهم قراقوش في ستين فارسا والتقى بهم عند حامة البهليل، فتحالف الطرفان واتفقا على قتال الموحدين معا ثم اقتسام البلاد بينهما نصفين ، فالبلاد الواقعة غربي بونة أي المغربين الأوسط و الأقصى من حق علي بن غانية ، أما البلاد الواقعة شرقي بونة من حق قراقوش ، تم هذا التحالف في سنة 581 هـ / 1185 م (59) (محمد عبد الله عدنان، القاهرة، 1964، ص 156).

عاد علي بن غانية بعد هذا الاجتماع فاخذ يستولي على البلاد ، و بعث قائده غزيّ الصنهاجي بالاستيلاء على مدينة أشير ، فسار إليها و اقتحمها عنوة و قتل واليها الموحدى بعد أن استولى عليها ، فحاول أبو زيد استرجاع أشير لكنه فشل ، فاتصل الموحدون بالقاضي أبي العباس بن الخطيب كي يقنع عبد الله الصنهاجي بالنزول عن المدينة ، فنجح القاضي في مهمته فقبضوا عليه و صلبوه (60) (ابن الأثير، ص 211-212) .

سار علي بن غانية للاستيلاء على مدينة توزر لكنه فشل لمناعة تحصيناتها فضرب الحصار عليها، وقطع أشجار النخيل التي حولها ثم داخل بعض أهلها ، فاستولى عليها بمساعدتهم سنة 582 هـ / 1186 م و عفا عن جميع الذين ساعدوه من أهلها، بينما قام باستصفاء من تخلى عنه ، و سجن البعض الآخر فلم يطلق سراح أحد منهم إلا مقابل مبالغ كبيرة من المال ثم قتل كل من رفض فداء نفسه (61) (عبد الرحمن ابن خلدون، بيروت، 1284، ص 153) بالمال و ألقاه في بئر تسمى بئر الشهيد ، في حين التف حول قراقوش بعض العرب من بني ذياب ، وساروا معه و استولى على جبل نفوسة و وزع أموالها على حلفائه، كما انضم إليه مسعود بن زمام شيخ بني رياح ، فهو من الخارجين على الموحدين ، فسار مع حلفائه إلى طرابلس فاستولى عليها و ذاع صيته فهرعت إليه طوائف العرب (62) (عبد الرحمن ابن خلدون، بيروت، 1284، ص 212) ، كما استولى علي بن غانية على معظم إفريقيا ، ثم قصد جزيرة باشر وطلب أهلها منه الأمان فأمنهم، فلما دخلها العسكر نهبوا جميع ما فيها من الأموال و الدواب و الغلال و سلبوا الناس حتى ثيابهم ، و امتدت الأيادي الى النساء و الصبيان وتركوهم هلكى .

كما فشل في الاستيلاء على تونس بسبب فصل الشتاء ، حيث أهلكهم البرد ووقع فيهم الوباء فمات منهم 12 ألف (63) (هويثي ميراندا، الدار البيضاء، 2004، ص 320)، فعاد و قصد في سنة 582 هـ مدينة قفصة ، فحاصرها و اخرج أهلها الموحدين من عساكرهم و سلموهم إلى الملتمين ، فرتب فيها جندا من الملتمين والأتراك و حصنها بالرجال (64) (هشام بورميلة، نابلس، ص 162) .

انضم قراقوش بقواته إلى علي بن غانية ، فكثرت جمعهم و قويت شوكتهم و اتبعوا جميعهم علي بن إسحاق وانقادوا إليه ولقبوه بأمر المسلمين ، و قصدوا بلاد إفريقيا فملكوها شرقا وغربا إلا مدينتي تونس والمهدية ، وأقام فيها الدعوة العباسية ، ثم بعث ولده و كاتبه عبد المؤمن من فرسان الأندلس إلى الخليفة الناصر ببغداد ، ما سلف لقومه من المرابطين لطلب المدد فقبله بقبول حسن وطلب إلى صلاح الدين أن يناصر الميوقيين في كفاحهم.

استنتاج عام

يعتبر بنو غانية المسوفين من أنصار الدولة المرابطية بعد سقوطها، ولقد استمروا في مواجهة الموحدين في الأندلس ثم جزر سيورقة وسينورقة ويابسة، وكان انتقالهم إلى المغرب الأوسط وإفريقيا من أهم أعمالهم الحربية التي شغلت الموحدين وأنهكت قوتهم العسكرية والاقتصادية، رغم تمكنهم في الأخير من القضاء على هذه المعارضة الشرسة.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- الجزائر الشرقية : هي جزر البليار وتضم ثلاث جزر ، ميورقة ، منورقة ، يابسة، وأكبر هذه الجزر جزيرة ميورقة، في البحر الرّقاعي من قبلة بجاية ، أمّا يابسة تقع الى الجنوب الغربي من جزيرة ميورقة . الحميري ، المعطار، تح إحسان عباس ، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1975.
- 2- الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج5، 1958.
- 3- أبو مطرف بن عميرة المخزومي، تاريخ ميورقة، تحقيق محمد بن معمر، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007.
- 4- عبد الرحمان الجليلي ، تاريخ الجزائر العام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ج2، 1997.
- 5- هشام أبو رميلة ، علاقات الموحدين بالمماليك النصرانية والدول الإسلامية، جامعة النجاح، نابلس.
- 6- عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر والعرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6 ، مطبعة بولاق، بيروت، 1284.
- 7- عبد الواحد المراكشي ، وثائق المرابطين والموحدين ، تح حسين مؤنس ، المكتبة الثقافية، القاهرة، ط1، 1997.
- 8- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت، ط1، 1992.
- 9- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، القسم الأول، القاهرة: (دم) ، 1964.
- 10- محمد بن عمرو الطّمّار، تلمسان عبر العصور دورها في السياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- * الربرتر: فارس برشلوني مسيحي وقع أسيرا، في يد قائد الأسطول لب بن ميمون، فحمله إلى الأمير علي بن يوسف بمراكش ، ف جعله هذا الأخير قائدا على الجند النصارى لشجاعته ، توفي في معركة بالقرب من تلمسان سنة 539هـ/1115م ثم اعتنق الإسلام واتخذ اسم أبا الحسن علي .
- 11- أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب و الأندلس، بيروت: دار النهضة العربية ، بيروت، ط1، 2000 .
- 12- هوايتي ميرندا ، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية ، تعريب: عبد الواحد أعمار، منشورات الزمن الدار البيضاء ، 2004 .
- * المنصور :هو أبا يوسف يعقوب بن أبي يعقوب بن أبي محمد عبد المؤمن بن غلي القيسي الكومي ، لما توفي والده اجتمع أشياخ الموحدين على تقديمه ومبايعته وتلقب به بأبى المؤمنين .
- 13- ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، القاهرة، 1950 .
- 14- أبو الفدا الحافظ بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، دار الريان، ط1، ج3، 1989.
- 15- محمد علي الصلابي، دولة الموحدين ، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط1، 2004 .
- 16- شنترين :لفظ مركب من كلمتين، الأولى شنت، بفتح فسكون والثانية رين ، بكسر أوله ، وهو اسم لمدينة متصلة بأعمال باجة غربي الأندلس . ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، تحقيق محمد هشام ، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، (دت).

- 17- بنو هلال : ينسبون إلى هلال بن عامر بن صعصعة ، من العدنانية ، سكنوا نواحي قسنطينة والمسيلة والزاب القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط 3، 1991.
- 18- رشيد بورويبة، الجزائر في التاريخ من الفتح الى بداية العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 19- مبارك محمد الميللي ، تاريخ الجزائر في القدم والحديث ، تقديم وتصحيح محمد الميللي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- * ويظهر أن التاريخ الأول هو الأصح و أن التاريخ الثاني لا يتعلق باحتلال بجاية من طرف بني غانية و إنما باستعادتها من طرف الموحدين لان احتلال بنو غانية لبجاية دام 6 أشهر.
- * مليانة : في الأصل مدينة رومانية ،جددها زيري بن مناد وحصنها ، وهي قديمة البناء نضرة المزارع، وفي جنوبها جبل وانشريش يسكنه قبائل من البربر منها مكناسة وكنامة ومطماطة وينتهي طرفه إلى مقربة من تاهرت . الإدريسي وصف المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، من كتاب زهرة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، العراق: دار الشؤون الثقافية 1968.
- * الجزائر: جزائر بني مزغنة ، بينها و بين شرشال 70 ميلا وقديمة البناء بها آثار وهي على ضفة البحر.
- * مازونة: بالقرب من مستغانم، وهي على ستة اميال من البحر وهي مدينة بها مزارع و بساتين.
- 20- الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ط2، 1979.